المحاضرة السابعة والثامنة: الأدب النسوي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية من خلال تجربة أسيا جبار في روايتها بوابة الذكريات

تمهيد:

عرف الخطاب النسوي أثناء تطوره مراحل متنوعة انتقل فيها من حيز الذاتية المغلقة لفضاء الانفتاح والتحرر، وتعد ليالي شهرزاد أول تمثل سردي سبر أغوار الذات الأنثوية، ذات ظلت ترتحل في الزمن لتحقق نفسها اليوم كمنجز سردي متكامل يعي خصوصية الكتابة الجديدة زمنا من جهة، والتغيرات على مستوى البنى الثقافية والاجتماعية والتاريخية من جهة أخرى .ويعد الأدب النسوي في جوهره تقويضا لثقافة الفحولة الذكورية ورغبة في إحلال ثقافة المرأة ليس كبديل وإنما كمعادل، فالمرأة لها من الوعي الثقافي والمعرفي ما يرفعها لتكون قوة فاعلة وخالقة في المجتمع، ولها من المؤهلات ما يمكنها من اقتحام خصوصية الإبداع الأدبي بعد أن كانت مجرد "مجاز رمزي" أو مخيالا ذهنيا يكتبه الرجل وينسجه حسب دواعيه البيانية والحياتية."

ومن خلال وعي المرأة بهذا الواقع، الذي يجعل منها (معنا) داخليا تنتجه اللغة الذكورية وتتحكم فيه، علاوة على أنه أخذ على عاتقه مهمة الحديث عنها وعن ظروفها من وجهة نظره التي تحط من وجودها، سعت المرأة لتخصيب طاقاتها الإبداعية من أجل كسر النظرة السلبية التي كونها الرجل عنها، حين أنتجت نصا مؤنثا تحولت فيه من كونها موضوعا (لغويا إلى ذات فاعلة) تعرف كيف تفصح عن نفسها، وكيف تدير سياق اللغة من فحولة متحكمة إلى خطاب بياني يجد فيه ضمير المؤنث فضاء للتحرك والتساوق مع التعبير ووجوه الإفصاح

1- الأدب النسوي: إشكالية المصطلح

رغم أن أهداف الكتابة النسوية واحدة، وتتمثل في نقض مركزية المركز الذكوري، إلا أن الدارسين اختلفوا في اصطلاحها، لتعرف هذه الكتابة تأرجحا بين ثالث مسميات، هي :الأدب النسائي/ الأدب النسوي/الأدب الأنثوي .ترى "خالدة سعيد" أن تسمية الأدب النسائي " تغيّب الدقة و وتشويش التصنيف وتستبعد التقويم "، ذلك أنه مصطلح زئبقي يصعب الإمساك به، وقد اعتمده "حسن نجمي "في دراسته للفضاء الأنثوي عند سحر خليفة، على أنه تلك الإبداعات التي تكتبها الأنثى "على أساس الاختلاف الجنسي.

وتسعى من خلالها لكسر النظرة السلبية التي كونها عنها الرجل "فتلك الكتابات هي تخوم في حالة الرفض لتلك التماهيات الدونية من قبل الذكورة في حق الأنوثة . "ويسعى "الأدب النسائي" في جوهره لمركزة الأنا الساردة بعد

تهميشها، ويعمل على جذب الانتباه لخصوصية الإبداع عندها، فهو "ما تنتجه المرأة بشكل يشخص حساسيتها الأنثوية ومظاهرها النسائية من خلال موقف يصوغ المفاهيم بشكل يبدو جديدا، ينتج عنه معرفة جديدة بالأشياء "، أي معرفة مختلفة عن التي طرحت في كتابات الرجل .أما مصطلح "الأدب النسوي" فقد تبلور عند "حسين لمناصرة" باعتباره "بنية لغوية يجب عليها أن تكون مغايرة عن كتابة الآخر/الذكر، لأنها حريصة على بلورة الذاتية والاختلافات في حياة امرأة جديدة، متمردة على ما شاع في الكتابة المستبدة ثقافيا من قبل الرجال المبدعين والنقاد "فهو أدب تنتجه النساء ويشترط أن يحمل رؤى واعية ومغايرة لما قدمته كتابات الآخر/الرجل عنها.

أما مفهوم "الأدب النسوي" فيتسع عند "إبراهيم محمود خليل" ليشمل" الأدب الذي تكتبه النساء، والأدب الذي يكتبه الذكور عن المرأة من أجل أن تتلقاه المرأة"، حيث نأى عن التفريق بين الكتابة بصيغة المؤنث وصيغة المذكر، وحسب المبدع أن يعبر عن التجربة الإنسانية في شموليتهاُ بطريقة إبداعية تثير لذة جمالية .

2- الأدب النسوي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية النشأة والتطور:

يعد الأدب النسوي الجزائري جزءا من دينامية الأدب النسوي العربي بشكل عام والفرنسي بشكل خاص، حيث عبرت من خلاله المرأة الجزائرية باللغة الفرنسية، عن ذاتها وشخصيتها إزاء السلطةِ التي تسيج حياتها بقائمة طويلة من الموانع الذكورية "الطابوهات" والمحرمات، "ولا شك أن استعمال اللغة الفرنسية قد منح الكاتبات بها امتيازات عديدة فيما يتعلق بفرص النشر والتوزيع، ولكنها على الأخص طريقة للالتفاف على الرقابة وانتهاك المحظور الاجتماعي والثقافي.

حيث اخترقت المرأة/الكاتبة من خلال نصوصها ذات اللسان الفرنسي زمن الكبت وانخرطت في متاهات التجريب لتثبت حضورها كذات فاعلة ومؤثرة، خاصة بعد الإقصاء الذي تعرضت له بداية من الحرب الاستعمارية، التي عانت فيها إلى جانب دورها الكفاحي من ضغط اجتماعي ممثلا في"الأحكام المسبقة الموجودة عند الرجل عن المرأة وبالرغم من انتهاء حقبة الاستعمار ونيل الاستقلال الذي كانت تأمل منه المرأة الحرية والانعتاق، إلا أن هذه النظرة الدونية ظلت ملازمة لها، أين وجدت نفسها تدخل مجددا حيز التهميش والإقصاء، كونها جسدا يثير الفتنة ويشجع على الانحلال الأخلاقي، ليس على الصعيد االاجتماعي فحسب، بل على الصعيد الفكري والإبداعي، حيث منعت من المشاركة في الجمعيات والملتقيات وحرمت من حق الكتابة والتعبير .وجاءت كتابات المرأة الجزائرية باللغة الفرنسية بما هي اختراق لهذا المنع من جهة وكشف عن الأنساق الثقافية التي تختزل وجودها من جهة ثانية، وثورة في وجه السلطة الذكورية والأبوية التي تنتج هذه الأنساق وتعمل على استمرارها من جهة ثالثة .وقد قام"

نزيه أبو نضال" بإحصاء ببلوغرافي، جمع فيه كتابات المرأة الجزائرية ذات التعبير الفرنسي ، وسنعتمد هذا الاحصاء كمرجع أساسي، نظرا لقلة الدراسات في هذا النوع من الخطابات:

الكاتبة	الرواية	التاريخ
-آسيا جبار	- العطش.	- 1957
	- النافدة والصبر.	- 1958
	- أطفال العالم الجديد	- 1962
	- احمرار الفجر.	- 1962
	- الحب والغربة.	- 1985
	- ظل السلطان.	- 1987
	- القبرات الساذجة.	- 1987
	- شقيقة شهرزاد.	- 1989
-ربيعة زياني	- المحروم من الإرث.	- 1981
	- جبلي.	- 1983
	- أخبار في بستاني.	- 1985
	- السعادة المستحيلة.	- 1986
	- اليد المشوهة.	- 1986
-زهيرة حوفاني	- صورة الاختفاء	- 1986
	- قراصنة الصحراء	- 1986
	- غير المفهومة	- 1989
- صابرينة خربيش	- العيون الذابلة	- 1995
	- نوال وليلى	- 1997

–ليلى صابر	– دفاتر شهرزاد – مجنون شهرزاد – سكن الشواطئ – الجنود	– 1985 – 1991 – 1993 –1999
– ماركيت طاوس عمروش	– الياقوتة السوداء – شارع الطبالين – العاشق الخيالي – أمي	– 1948 – 1960 – 1976 – 1995
–مليكة مقدم	– الرجال اللذين يمشون – عهد الجراد – الممنوعة – أحلام وقتلة	– 1990 – 1992 – 1993 – 1995
– جميلة دباش	– ليلى فتاة من الجزائر	– 1948

– فاطمة بكاري	– السلم – واد للذاكرة – طفل الكراهية	– 1993 – 1995 – 1990
– فريدة الهاني مراد	– الفتاة الحافية – عندما تتكلم الجثة	– 1995 – 1990
– لطيفة بنمنصور	– أغنية الزئبق – صلاة الخوف	– 1990 – 1997
– ليلى رزق	– تدجين الإهانة – الترحال اللطيف	– 1988 – 1992
	– فاطمة – شهرزاد – تكلم يا ولدي مع أم	– 1981 – 1982 – 1984

	– العرافة الممنوعة	1991–
– نينا بوراوي	– القبضة الميتة	1992 –
	– المرقص	1998 –
– ياسمين بن مهدي	– زمام القدر	1995–
– يمينة مشاكرة	– المغامرة المتفجرة	1979 –

لقد ساهمت هذه الروايات في التعريف بالنص الروائي النسوي الجزائري عالميا، حيث ترجمت إلى العديد من اللغات الأجنبية كالإنجليزية، والفرنسية واالألمانية والإيطالية من جهة، وكانت من جهة ثانية بمثابة تذكرة عبور فتحت آفاقا جديدة من الاختلاف والتميز في الكتابة الروائية عربيا ومحليا، وهي من جهة ثالثة منبر استطاعت من خلاله المرأة/الكاتبة الجزائرية إيصال صوتها ورؤيتها للعالم.

ملاحظة: بخصوص رواية أسيا جبار تلخيصا وتحليلا يرجى زيارة الرابط الآتي:

https://thakafamag.com/بوابة-الذكريات-لآسيا-جبار-عودة-النص/